صفحات من السيرة

1

أسرة النبي صلى الله عليه وسلم

تعرف أسرته بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف، وكان رجلًا موسرًا وذا شرف كبير، وقد تولى السقاية والرفادة من بني عبد مناف، وكان اسمه عمرو ولكنه سمي هاشمًا لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة، وهو أول من سن الرحلتين لقريش -رحلة الشتاء والصيف-.

عندما قدم المدينة تزوج من سلمى بنت عمرو -وكانت عظيمة الشرف في قومها وتوفي عنها وهي حامل بابنه -شيبة- والذي بقي عند أهل أمه حتى جاء عمه المطلب والذي كان يعرف -بالفياض- لسخائه وكرمه فاحتمله معه لمكة، ودخلها وهو يردفه على بعيره، فظنوه عبدًا له قد اشتراه، فنادوه (عبد المطلب).

وقد تولى بعد موت عمه (المطلب) السقاية والرفادة..

وكان عبد المطلب جسيمًا أبيضًا وسيمًا فصيحًا، وقد شرف في قومه وأحبوه وأسموه (شيبة الحمد).

صفحات من السيرة

2

أهم الأحداث في حياة عبد المطلب:

1- حفر زمزم:

ظل حلم يتردد على عبد المطلب أربع ليالٍ متوالية أن:

أحفر طيبة، أحفر برة، أحفر المضنونة، وفي الليلة الرابعة قيل له: احفر زمزم، ودُل في الرؤيا على مكان وجودها.

وعندما علمت قريش بأمر العين التي حفرها عبد المطلب طالبوه بنصيبهم منها، فرفض، واشتد خلافهم، وانتهى الأمر بينهم إلى الاتفاق للتحاكم للكاهنة، وارتحلوا يبغونها، وفي الطريق كاد أن يهلك عبد المطلب وأصحابه من شدة العطش، حتى أنهم حفروا قبورهم بأيديهم، ولكن شاء الله أن يخرج نبع ماء من تحت بعيره لتدرك قريش أن من سقى عبد المطلب في هذه المفازة هو من سقاه زمزم، فحكموه فيها..

إلا أنه نذر لأن رزقه الله عشرة من الولد أن يذبح واحدا منهم؛ لأنه عازه من يقف معه عندما أرادت قريش أن تشاركه في زمزم.

صفحات من السيرة

أهم الأحداث في حياة عبد المطلب:

2- حادثة الفيل:

بنى أبرهة في اليمن كنيسة عظيمة أسماها (القليس) وأراد أن يصرف العرب عن كعبتهم إليها، فما كان من رجل من كنانة إلا وتسلل إليها ولطخها "بالعذرة"، ورمى فيها الجيف، ثم عاد أدراجه..وأثار ذلك غضب أبرهة فعزم على هدم الكعبة، وجهز لذلك جيشًا عظيمًا وساق معه الفيلة بغيته مكة، وما إن قاربها إلا وأمر أصحابة بالإغارة على نِعم الناس، وكان مما ساقوه مائتي بعيرٍ لعبد المطلب، والذي جاءه مطالبًا بها، وعندما رآه أبرهة هابه، وعندما سمع مطلبه استصغره لأن همه كان إبلًا لا كعبة يعظمونها، فأعلمه أن رب الكعبة سيحمي بيته..وكان الأمر كما قال عبد المطلب، فقد حمى الله بيته، وأبى الفيل أن يتقدم لهدم الكعبة رغم محاولاتهم لحثه على السير..

ومن ثم أرسل الله إليهم طيرًا بأحجارٍ ما أن تصيبهم إلا وتتقطع أعضاءهم ويهلكون..

وأعظمت العرب قريشًا بعد هذه الحادثة، كما ازدادوا تعظيمًا للبيت الحرام..كان ذلك قبل ميلاد النبي بخمسين يومًا، وكأن ذلك توطئة بميلاد نبي يعيد للكعبة ما كان لها من منزلة ورفعة..

صفحات من السيرة

نذر وفداء

رُزِق عبد المطلب عشرةً من الولد – من غير البنات اللاتي كنا ستًا– فكان لا بد له أن يفي بنذره في ذبح واحد منهم إن بلغوا عشرة، وأقرع بينهم ثلاثًا فكان عبدالله في كل مرة من تقع عليه القرعة– وكان أحب أبنائه إليه– وعندما هم بذبحه منعته قريش من ذلك، واستفتوا الكاهنة لتفصل في هذا النذر، فأشارت عليهم أن يفدوه بالإبل، فنحر عبد المطلب مائة من الإبل وفاء لنذره لا يصد عنها إنس ولا طير ولا سبع..

وعندما بلغ عبدالله خمسة وعشرين عامًا زوجه والده من آمنة بنت وهب –أفضل نساء مكة نسبا– ولكنه توفي عنها في تجارة خرج فيها، وكانت في الشهر الثاني من حملها، فولد محمد يتيمًا، لم ير والده..

المولد الشريف

كان مولده ﷺ يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل، وقد فرح عبد المطلب بحفيده،واستبشر به، وأسماه محمدًا، وختنه في اليوم السابع على عادة العرب، وأما الأحاديث التي تذكر أنه ولد مختونًا فكلها ضعيفة..

ومن العلامات التي ظهرت عند مولده:

1- ظهور نور من أمه أضاءت منه قصور الشام، 2-ظهور النجم، والذي هو علامة ميلاد النبي الخاتم، وقد رآه يهودي فصرخ في قومه معلمًا أياهم بميلاده..

3-وقع رافعًا رأسه للسماء.

علامات مشهورة وليست بصحيحة:

ارتجاج إيوان كسرى، خمود نار المجوس، غوص بحيرة ساوة وانهدام معابدها..

رضاعه ﷺ

الحياة في البادية تكسب الإنسان جلدًا في الجسم، وصفاء في الذهن، وفصاحة في اللسان، وهذا كان من أسباب حرص أهل مكة على إرسال صبيانهم إلى البوادي ليربوا فيها، ولذا التمس عبد المطلب لابن أخيه مرضعة، ولكن المراضع زهدن فيه ليتمه –فهن كن يرتجين العطايا من والد من يأخذنه– إلا أن حليمة السعدية عادت إليه لتسترضعه مع ابنها لأنها لم تجد صبيًا غيره لتأخذه، وما أن حملته معها إلا وحلت البركة عليها، وجدت ذلك في ثديها الذي امتلأ بالحليب بعد أن كان صغيرها لا ينام من شدة الجوع، وناقتها التي امتلأ ضرعها لبنًا، وأتانها التي غدت تسابق غيرها في حين أنها كانت آخرهم وصولًا، وشياهها –التي كانت تعود شبعى ممتلئة ضروعها لبنًا على عكس حال ماشية باقي من يجاورونها..فأدركوا أنهم ما حملوا معهم من مكة إلا نسمة مباركة، لذا ألحت على أمه–بعد أن أتم السنتين– أن تبقيه معها، وكان لها ما أرادت..

حادثة شق صدره ﷺ، ووفاة أمه

عندما بلغ محمد ﷺ أربع سنوات وبينما كان مع أخيه بالرضاعة في المرعى، وإذ قد أقبل عليه ملكان أضجعاه وشقا صدره وغسلا قلبه وأخرجا منه حظ الشيطان منه، وخُتِم عليه بخاتم النبوة –وهو عبارة عن نتوء لحم عليه شعر على كتفه الأيسر– وعندما رآه أخوه وقد امتقع لونه أخبر أمه –حليمة– بحاله فخشيت عليه أن يصيبه أذى فسارعت به لأمه، التي طمأنتها بإن لابنها شأنًا فلا تخشي عليه..

وتكررت معه ﷺ حادثة شق الصدر مرة أخرى ليلة أُسري به؛ ليتأهب لمناجاة ربه –ذكر ذلك الحافظ في كتابه الفتح– وعندما بلغ السادسة من عمره اصطحبته أمه معها في زيارة أخواله من بني النجار في المدينة، وفي طريق العودة توفيت في منطقة يقال لها الأبواء، فاحتضنته أم أيمن وعادت به إلى مكة.

رعاية جده ثم عمه له

بعد وفاة أم النبي ﷺ تولى جده عبد المطلب رعايته، فكان له أبًا بعد الأب، وعندما قاربه الأجل –وكان قد قارب محمد الثامنة من عمره– أوصى به لعمه أبي طالب –لأنه كان أخًا شقيقًا لأبيه عبدالله– فقربه إليه وخصه بالرعاية والاهتمام، وكان لا يطيق بعدًا عنه.

وقد قيل أنه قد صحبه معه في تجارة له إلى الشام وقد التقوا براهب يقال له "بحيرى" والذي أنبأ عمه بشأنه وما ينتظره في مقبل الأيام، وطلب منه أن يعيده لمكة خوفًا عليه أن يصيبه أذى، ولكن هذه القصة ضعفها الإمام الذهبي، في حين صححها آخرون..

وكان أبو طالب قليل ذات اليد فأراد محمد ﷺ أن يخفف عنه مؤونة نفسه فعمل راعيًا للغنم على قراريط تُعطى له، وقد أكسبته هذه المهنة الصبر والأناة والحلم والتي ستكون له زادًا يتقوى به عند تبليغه للدعوة، وإعراض الناس عنه.

صفحات من السيرة

شهوده ﷺ لبعض أيام مكة، وزواجه من خديجة

شهد الرسول ﷺ –وهو غلام– حرب الفجار بل وشارك فيها، كما شهد حلف الفضول، والذي كان سببه مظلمة تعرض لها يمني فاستنجد بأهل مكة، فهب مجموعة منهم وتعاهدوا على نصرته، وأفلح مسعاهم في ذلك، وكان النبي يحدث –بعد ذلك– صحابته عن ذلك الحلف ويقول:

(لو دعيت به في الإسلام لأجبت)

وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره أرسلته خديجة بنت خويلد –لما سمعت عنه من صدق وأمانة وكرم أخلاق – في تجارة لها إلى الشام، فعاد إليها من هذه التجارة بأرباح وافرة..

ولأخلاقه وحسن صيته رغبت في الزواج منه –وهي التي كان قومها حريصين على نكاحها لنسبها وشرفها وغناها– ولكنها فضلته عليهم، وكان هو في الخامسة والعشرين من عمره، وهي في الأربعين، وقد رُزِق منها بجميع أبنائه –إلا إبراهيم– ولم يتزوج عليها أحدًا حتى توفيت رضي الله عنها.

بناء الكعبة

بسبب تصدع بناء الكعبة أرادت قريش تجديد بناءها، فاتفقوا ألا يدخلوا في ذلك إلا مالًا حلالًا، ولكنه قصُر عن ذلك، مما اضطرهم إلى اقتطاع جزء من الكعبة من الجهة الشمالية وبنوا على الجزء المقتطع جدارا صغيرا للدلالة على أنه من البيت وهو ما يسمى اليوم بحجر إسماعيل.. وقد شارك محمد في البناء مع أعمامه، وكان عمره آنذاك خمسًا وثلاثين سنة..

وعندما وصل البناء إلى موضع الحجر اشتد الخلاف بين رؤساء مكة فكل يريد الفوز بشرف وضعه في مكانه، وتوقفوا عن البناء أربعة أيام وكادت أن تقع الحرب بينهم لولا أنهم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل عليهم في أمرهم، فكان محمد، والذي أشرك الجميع في هذا الشرف بافتراشه لرداء حُمِل عليه الحجر من الجميع، ثم وضعه بيده الشريفة في مكانه، فأخمد بحكمته فتنة عظيمة كادت أن تقع... وقد غيرت قريش في البناء، فألغت بابًا من بابي الكعبة، ورفعته عن الأرض، وزادت في طولها المعتاد تسعة أذرع.

حفظ الله لنبيه

على الرغم من يتمه إلا أن الله قد سخر له من يقوم بشأنه حتى اشتد عوده، فمن جدٍ رحيم به إلى عمٍ متفانٍ للدفاع عنه وحمايته من أذى قريش حتى يبلغ دعوته وإن كان على غير دينه.. وقد نشأ في مجتمع جاهلي يعج باللهو والمجون والمعاصي إلا أنه نشأ وعين الله تكلأه، فنشأ سليم المعتقد فلم يسجد لصنم قط، وقد جمع مكارم الأخلاق حتى عرف بينهم (بالصادق الأمين) ونأى بنفسه عن كل رذيلة كان يقع فيها من هم حوله من شرب للخمر ووقوع في الفواحش وسفهٍ وبذاءة لسان....

كان فيهم، وعاش بين ظهرانيهم ولكنه طاول الثريا سمتًا وخلقًا، وليس عجبًا، فقد صنع على عين الله.. تراه وقومه قد انحرفوا في شعائر حجهم يخالفهم ويحج على دين إبراهيم عليه السلام، وهو الأمي الذي لم يعرف يومًا ما الكتاب ولا الإيمان.

وقبل مبعثه حبب إليه الخلوة، كإعداد روحي له لتحمل أعباء الدعوة، والتي لم تدر يوما له على بال.

إرهاصات البعثة..

حجب الشياطين عن استراق السمع عند قرب مبعثه..

حيل بين الشياطين وبين استراقهم لخبر السماء، ومن يعمد إلى ذلك يرسل عليه شهاب راصد لا يخطئه، وكان هذا المنع قبيل مبعث الرسول، فأدركوا أن ذلك ما كان إلا لأمر جلل، فأرسلوا بالرسل يجوبون الأرض لعلهم يدركون سر ما كان من أمرهم، ووجدوا ضالتهم في تهامة حيث كان رسول الله قد بُعث، ووجدوه في وادٍ يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فاستمعوا له ثم ولوا إلى قومهم فأعلموهم بمبعثه، فجاءوه بعد ذلك واستمعوا منه وأسلموا..

ورمي الشياطين بالشهب كان موجودًا، واستمر بعد وفاة الرسول، ولكنه اشتد قبيل البعثة وأثناءها.

مقدمات نزول الوحي

أولًا: الرؤيا الصادقة، وكانت تأتيه كفلق الصبح.. وكان ذلك قبل البعثة بستة أشهر.

ثانيًا: حبب للرسول ﷺ الخلوة: وكان ذلك عندما قارب الأربعين من عمره، فكان يتحنث في غارحراء الليالي ذات العدد، ويقضي وقته في التفكر فيما حوله من مشاهد الكون حتى أكسبه ذلك صفاء وإشراقًا روحيًا..

ثالثًا: تسليم الحجر والشجر على النبي ﷺ، وقد ذكر ذلك لأصحابه يومًا بقوله: (إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث) -كان يسلم عليه بالنبوة-.

رابعًا: سماع النبي ﷺ الصوت ورؤيته الضوء، وقد أخبر زوجته خديجة بذلك معقبًا: (وإني أخشى أن يكون بي جُنن)، ولكنها طمأنته بإن الله لن يخزيه أبدًا، وأعلمه ابن عمها ورقة بن نوفل-إن كان الأمر كما ذكر- فإن ما يراه ما هو إلا ناموس موسى..

نزول الوحي

في ليلة من ليالي رمضان، وبينما محمد في خلوته في الغار، وإذ بآتٍ يأتيه ليقطع عليه سكون الليل، وليمسك به يضمه ثم يرسله، طالبًا منه أن يقرأ، وهو ما يزيد على أن يقول: ما أنا بقارئ، وفي الثالثة جاءه الأمر بإن: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) أول آيات يبدأ هطولها على أرضٍ مكة القاحلة، فيحملها لزوجه راجفًا بها فؤاده، مرددًا أن دثروني، ثم يخبرها الخبر، فطمأنته أن الله لن يخزيه أبدًا، ثم يخبره ورقة بن نوقل أن ما رآه ما هو إلا ناموس موسى، ووعده بالنصرة -إن كان حيًا- عندما يخرجه قومه.

ونزلت عليه سورة المدثر ثم المزمل والتي جاء الأمر في الأولى بالقيام بأمر الدعوة، وفي الثانية بقيام الليل، فقام هو وأصحابه عامًا كاملًا حتى تورمت أقدامهم، ثم جاءهم أمر التخفيف بعد ذلك.

مراتب الوحي

1- الرؤيا الصادقة، وتأتي كفلق الصبح.
2- ما يلقي الملك في روع النبي ﷺ، من غير أن يراه: (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها)
3- يتمثل له الملك رجلًا فيخاطبه؛ حتى يعي ما يقول.
4- كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، وكان يتفصد عرقًا في اليوم شديد البرد.
5- يراه في صورته التي خُلق عليها، وقد رآه على هذه الصورة مرتان.
6- ما أوحاه الله إليه وهو فوق السماوات، في ليلة المعراج..
7- كلام الله له بلا واسطة ملك، كما كلم موسى عليه السلام.

الدعوة السرية

لقد قام محمد ﷺ بالدعوة منذ أن كلف بها، ولم يقعد حتى وافاه الأجل، ولكنه كان مدركا أن تغيير دين ومعتقد أمرا ليس بالهين، لذا كانت دعوته في بدايتها سرية، وابتدأ بأخص الناس وأقربهم لقلبه، فابتدأت طلائع النور ب:

- زوجه خديجة وبناته، فكانت أول أسرة تنضوي تحت راية الإسلام..
- ومن الرجال كان أبو بكر الذي أسلم ودعا المقربين منه فأسلموا..
- ومن الصبيان ابن عمه: علي بن أبي طالب، والذي تربى تحت عينه بعد أن أخذه عن أبيه؛ تخفيفًا عنه لكثرة عياله..
- ومن العبيد: زيد بن حارثة، والذي تبناه الرسول ﷺ على عادة العرب، ولكنها أبطلت هذه العادة بعد ذلك، فعادوا ينادونه زيد بن حارثة..

وكانت آيات هذه المرحلة قصيرة، ذات إيقاعات هادئة تناسب هذا الجو الهامس الرقيق المغاير تمامًا للجو البشري الذي يعيشون فيه..

الأمر بالجهر بالدعوة

نزل الأمر بالصلاة في بداية الدعوة، وكانت مثنى مثنى، وكانت تؤدى قبيل الفجر وقبيل المغرب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أما فرض الصلوات الخمس فكان في ليلة المعراج... كما أوجب الله عليهم قيام الليل لمدة عام، ثم خفف عنهم..

وقد كانت بداية الدعوة سرية، واستمرت ثلاث سنوات، وكان ﷺ يوصي أصحابه -في هذه المرحلة بالحذر من قريش مخافة أن تصيبهم بشر، وكان مقر اجتماعهم دار ورقة بن نوفل لبعدهاعن أعين القرشيين، ثم نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فبادر لدعوة أهله إلى دينه، فكان أول الصادين عن دعوته أبا لهب، في حين أن عمه أبا طالب وعده بالنصرة وإن كان على غير دينه.. ثم جاءه الأمر بإن ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فنادى بطون مكة أن أقبلوا، ثم أعلمهم -بعد أن اطمأن لمكانته بينهم- أنه رسول رب العالمين إليهم، فما لقى منهم إلا صدودًا، وكان يتزعمهم في ذلك عمه أبو لهب.. وزاد الأمر سوءًا عندما سب ﷺ آلهتهم، فقابلوا ذلك عداء له ولدعوته..

ردود فعل قريش

رفض كبراء قريش ميلاد هذا الدين بين ظهرانيهم، لذا حاولوا وأده في المهد قبل أن يشتد عوده، فأرسلوا لأبي طالب يطلبون منه أن يمنع ابن أخيه عما يدعيه أو يخلي بينهم وبينه، ولكنه استطاع بحكمته أن يصرفهم عما جاءوا له..

ومع تعنتهم ورفضهم للدين أرادوا أن يصدوا الناس عنه -خاصة وأنه قد اقترب موسم الحج، فخافوا أن ينتشر أمر محمد ويفتتن الناس به، فانبرى عمه أبو لهب لمهمة تكذيبه، وذلك بإن يتبعه في كل فج ووادٍ يدعو فيه لتوحيد الله ليقطع عليه كلامه بقوله: إن هو إلا صابئ كاذب.. فيتفرق الناس من حوله..

وخشي أبو طالب دهماء العرب على ابن أخيه -بعد موسم الحج وانتشار أمر دعوته- فأطلق قصيدته التي أعلن فيها أنه وإن لم يكن على دينه إلا أنه لن يسلمه لأحد حتى يهلك دونه.

صفحات من السيرة

ابن أم مكتوم - أبو ذر

❖ كان رسول الله ﷺ حريصًا على دعوة زعماء قريش إلى الإسلام، مجتهدًا في ذلك، وبينما هوﷺ يومًا معهم وإذ جاءه ابن أم مكتوم يستقرئه القرآن -وكان أعمى- فلم يشأ أن ينشغل به عنهم، فعبسﷺ في وجهه، وأعرض عنه -وهو أحب إليه منهم؛ ولكنه كان يكِله إلى ما في قلبه من إيمان- فعاتبه ربه في ذلك بقوله:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3)﴾

وسئلت عائشة يوما عنه –وكان في بيتها- فقالت: هذا الذي عاتب الله فيه نبيه.

❖ جاء أبو ذر الغفاري مع أخيه قاصدين مكة، فسبقه أخوه للدخول إليها، ثم عاد ليعلمه بأمرالدين الجديد، فانطلق أبو ذر لمقابلة الرسول ﷺ وهو محمل بوصية أخيه ألا يشعر به أهل مكة فيفتكوا به، فاختبأ شهرًا كاملًا عند الكعبة لا قوت له إلا ماء زمزم منتظرًا لقيا محمد ﷺ، وكان له ما أراد، ليعود هو وأخوه إلى غفار مسلمين، مع وصية من الرسول له بإن لقياه به بعد ذلك في أرض ذات نخل -المدينة- فجاءه بعد هجرته ومعه قومه مسلمين.

محاولات قريش لوأد الدين

وتستمر مقاومة الشر للخير، وتسعى مكة جاهدة لصرف الناس عن هذا الدين الجديد بأساليب منها:

*إثارة الشبهات حول مصدره، فقالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ﴾ ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾

*معارضة القرآن بأساطير الأولين: فبعد مجلسه ﷺ والذي حذر فيه وأنذر يخلفه النضر بن الحارث بحديث -يدعي أنه أحسن من حديثه ﷺ- عن ملوك فارس ورستم.

*السخرية والاستهزاء والتكذيب والهدف تخذيل المسلمين وإضعاف قواهم المعنوية.

*مساومات للتقريب بين الإسلام والجاهلية -كما يدعون- فعرضوا عليه أن نعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فأينا كان على حق فقد أخذ نصيبه منه، فنزلت فيهم سورةالكافرون..

*مساومته على الجلوس للسماع منه على أن يطرد المستضعفين من أصحابه؛ لأنهم يأنفون من مجالستهم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

تعذيب قريش للمسلمين

لم تيأس قريش لفشلها في وقف انتشار الدين بادعاءتها الواهية، فتعود مجددًا للمحاولة، ولكنها هذه المرة بضراوة وشدة...
فصبت صهارة غضبها على من آمن بمحمد -ونجّا الله نبيه منهم لمكانة عمه بينهم- فانطلقت كل قبيلة بابنائها يسومونهم العذاب لعلهم يعودون،،،
وكانت فتنة عظيمة ما نجا منها إلا صادقو الإيمان..
وطالت هذه الفتنة جميع الطبقات:
فمن علية القوم: عثمان بن عفان ومصعب بن عمير، وسعد بن وقاص، والزبير بن العوام،
ومن ضعفاء مكة: بلال بن رباح، وآل ياسر -وتوفي تحت التعذيب ياسر وسمية- وزنيرة والنهدية وبنتها، وخباب بن الأرت -وكان أشد الصحابة تعذيبًا- وصهيب الرومي.....
ولكنهم صمدوا صمود الجبال، لتتكسر سياط آمال قريش على صخرة إيمانهم فينقلبوا خاسرين...ولكنهم لم ييأسوا، وستستمر محاولاتهم..

صفحات من السيرة

قناديل مزهرة

*عبدالله بن أبي قحافة -صدّيق هذه الأمة- كان كصاحبه ﷺخُلُقًا، فقد عرف عنه قبل الإسلام أنه يكسب المعدوم ويصل الرحم، ويعين على نوائب الدهر، ويسيل قلبه رحمة على المستضعفين، لذا لم يبخل بماله في شراء العبيد وعتقهم عندما صبت قريش نيران غضبها عليهم لإسلامهم، فاعتق منهم الكثير، وقد لامه أبوه في ذلك، وما علم أن هذه هي تجارته مع ربه.

*عبدالله بن مسعود: من أوائل من أسلم، وأول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله، وقد أوذي لذلك، ولكنه وعلى الرغم من ضآلة جسمه وضعف بنيته إلا أنه استعذب ما أصابه لأنه كان في سبيل الله، ولولا منع الصحابة له لكان عاود الكرة..

وقد جاء المستضعفون للرسولﷺ يشتكون إليه ما يلاقونه من أذى، فأخبرهم أن من سبقهم قد أوذوا في دينهم فصبروا على ذلك، وبشرهم بإن التمكين لهم، والغلبة لدينهم، فاستطابوا العذاب عندما احتسبوا الأجر...

صفحات من السيرة

الاستهزاء بالرسول ﷺ

لم تستطع قريش بادئ الأمر أن تتعرض للرسول بالسوء واكتفوا بالهمز والاستهزاء..وذلك لما أكسبه الله أياه من شخصية فذة تتعاظمه بها نفوس الأعداء والأصدقاء، بالإضافة إلى منعة عمه أبي طالب له..
وحتى عندما أرادوا أن يسيئوا له حماه الله من إساءتهم، قال رسول الله لأصحابه يومًا: {ألاتعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمما، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد}... وقد تطاول كثير من كفار قريش له بالإساءة، فمنهم من عاجله الله بالعقوبة كعتبة بن أبي لهب والذي عدا عليه أسد استجابة لدعوة رسول الله عليه، ومنهم من عيره بإنه أبتر-العاص بن وائل- لموت أبنائه الذكور ﷺ فرد الله عليه ب ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾، ومنهم من تجرأ أكثر -إرضاء لصاحبه- فبزق في وجهه كعقبة ابن معيط -قبح الله وجهه- وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا (28)﴾
ورسول الله غير مكترث بهم، ماضٍ في دعوته..

فرعون هذه الأمة

كما أن للحق رجال ينافحون عنه، حتمًا سيكون للباطل دعاة يستميتون في نشره، والذود عنه، ومن دعاة الباطل هؤلاء: أبو جهل -لعنه الله- والذي كان أشد الناس عداء للحق متمثلًا ذلك في كرهه للرسول وصحبه، لذا نراه قد صب جام غضبه على المستضعفين من المسلمين وأذاقهم صنوف العذاب، فمات ياسر وزوجته سمية تحت وطأة تعذيبه، كما عانى غيرهم الويلات من جراءتسلطه عليهم، أما حاله مع الرسول فكان على غير ذلك، فعلى الرغم من شدة عداوته له إلا أنه لم يمكنه الله منه، وفي كل مرة كان يُذِله الله له... وأبو جهل على الرغم من تصدره في محاربة الدين الجديد، إلا أنه كان في قرارة نفسه يعلم أن ما جاء به محمد هو الحق، ولكن الغطرسة والكبر منعاه أن ينضوي تحت رايته، ولقد أعلنها يومًا صريحة للمغيرة بن شعبة بقوله: والله إني لأعلم أن ما يقوله حق،.. ولكنه طمعًا في سيادة قبيلته على غيرها من القبائل رفض أن يعترف بخروج نبي من بني قصي، لأن قبيلته سيقصر شرفها عند ذلك، لأن لا نبي سيكون منهم...

الهجرة الأولى

ازداد كفار قريش بطشًا بالمستضعفين، وازدادوا هم تمسكًا بعقيدتهم، ولاحت لهم تباشير الفرج بأمر شاقٍ على النفس، ولكنهم سيقدمون عليه ما دام أن فيه حفظ للدين والنفس، فقد جاءهم في السنة الخامسة للبعثة الأذن بالهجرة، واختيرت الحبشة لبعدها ولحاكمها العادل والذي لن يضام عنده المسلمون..وتسلل 11 رجلًا و4 نسوة قاصدين الحبشة، وعاشوا هناك عند خير جار، ولكنه لم يطل بهم المقام فقد تناهى إلى مسامعهم إسلام زعماء مكة فعاجلوا بالعودة إلى أهليهم، وما علموا أنهم قد ازدادوا بطشًا بالمسلمين إلا وهم على مشارف مكة، فدخل البعض مستخفٍ، وعاد آخرون للحبشة..

وكان سبب ما تناقله الناس من إسلام كفار قريش أنهم لم يتمالكوا أنفسهم عندما سمعوا محمد وهو يقرأ سورة النجم فخروا ساجدين عندما بلغ قوله: ﴿فاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ ..

وعندما عاتبهم من لم يحضر لسجودهم ادعوا أن محمدًا قد تقرب إليهم بمدح آلهتهم.

محاولات لاغتيال محمد ﷺ

أدركت قريش أن محاولة صد المسلمين عن دينهم لن تجدي، لذا فكروا بمعاودة الضغط على أبي طالب ليمنع ابن أخيه أو يسلمه لهم ليقتلوه، وسيعوضوه عنه بخير أبنائهم يكون له ابنًا، فأنكر عليهم ما جاءوا له وقال: والله ما أنصفتموني!! وأدرك بعدها الخطر الذي يحيط بمحمد، فاستنهض شباب قبيلته لحمايته، ثم انطلق بهم إلى الكعبة فقال: والله لئن قتلتموه ما أبقيت منكم أحدًا حتى نتفانى، فانكسر عندها القوم.. ولكن حزب الشيطان لم ينكسر، وأبوا إلا قتله، فانطلقوا -يتقدمهم أبو جهل- ومقصدهم محمدًا، فرأوه مصليًا، فسارعوا لتنفيذ خطتهم، ولكن الله أعمى أبصارهم، فغدوا يسمعون صوته ولا يرونه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

وظلت فكرة الاغتيال تزداد في قلوبهم، فانطلق فرعون هذه الأمة قاصدًا أياه وهو يصلي ولكنه سرعان ما عاد ممتقع لونه مرعوبًا، فقد رأى فحلًا عظيمًا من الإبل كاد أن يأكله، وما كان ذلك إلا جبريلً جاء يحمي محمدًا، وهكذا خيب الله مكائدهم.

صفحات من السيرة

ولاحت تباشير الفرج..

لقد أعز الله دينه بإسلام كل من:

* حمزة بن عبد المطلب -عم رسول الله- والذي أخذته الحمية عندما علم أن أبا جهل سب محمدًا ولم ينتصر لنفسه منه، فحمل قوسه وشج به رأس أبي جهل معلنًا على أنه على دينه، ولن يرضى له بالمهانة، وبعد أن ذهبت عنه فورة الغضب تردد فيما قاله، وما طمأن قلبه إلا جلوسه عند رسول الله ﷺ وسماعه منه..

* أما عمر بن الخطاب فقد كان خارجًا ليقتل محمدًا لأنه شتت أهل مكة -كما كان يظن- ولكن هيأ الله له أمرًا آخر، فقد علم أن أخته وزوجها أسلما، فذهب إليهما يريد البطش بهما، ولكن سماعه للقرآن يتردد صداه في بيتهما ألان قلبه، فانطلق إلى رسول الله معلنًا إسلامه، ليعلوعندها التكبير في أرجاء مكة.. ويأبى عمر إلا الظهور بدينه، وقابلت قريش مجاهرته عداءً له، وسعيًا لقتله، ولكن خيب الله مسعاهم...

وباعتناقه للإسلام عز المسلمون، وغدوا يغشون الكعبة لا يخافون إلا الله..

إغراءات ثم طلب للخوارق

محاولات قريش لا تزال مستمرة في صد الرسول ﷺ عن دعوته، وهذه المرة لجأ زعماؤهم إلى الإغراءات علها تثنيه، فانطلق رسولهم إليه يحمل معه ما يسيل له لعاب طالب الدنيا من مالٍ وجاهٍ وملك، لكن رسول الله ﷺ ما زاد إلا أن قرأ عليه سورة فصلت حتى بلغ قوله تعالى:﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود﴾ فقام عنه مرعوبًا مخافة أن يقع النذير، وطلب من قريش أن يكفوا عنه، فإن ظهر أمره فهو عز لهم، لكنهم أبوا ذلك.. وعادوا إليه مجددًا ولكن هذه المرة بطلب الخوارق: كتسيير الجبال، وتفجير الأنهار، وإحياء الموتى، ثم ازدادوا تعنتًا فقالوا: اطلب لنفسك أن يبعث معك ربك ملكا يصدقك، واسأل ربك أن يعطيك جنانًا وقصورًا حتى نعرف فضلك ومنزلتك، أو أسأل ربك أن يرسل علينا كسفًا من السماء..وما كان رسول الله ليطلب من ربه ذلك، رحمة بهم، مخافة نزول عذاب الاستئصال بهم إن لم يؤمنوا-بعد نزول الآيات- فهكذا جرت السنة الإلهية في الأمم السابقة..

صفحات من السيرة

الهجرة الثانية للحبشة

قريش ماضية في صب جام غضبها على المسلمين، مما اضطر فوج آخر يهاجر للحبشة بعد أن أذن لهم الرسول ﷺ بذلك...كان عددهم 82 رجلًا، و18 امرأة، وكان أميرهم جعفر بن عبد المطلب، ولقد طاب لهم المقام هناك، ولكنه لم يطب لقريش حالهم فعاجلوا باسترجاعهم، وذلك بإغراء النجاشي وبطارقته بالهدايا، طالبين منه تسليمهم لهم؛ لأنهم مارقون عن دين آبائهم، فأبى إلا الجلوس إليهم، والسماع منهم، والذي تبين له من محاورتهم صحة المعتقد الذي تمسكوا به فأسلم -وكتم ذلك عن قومه- ورد على وفد قريش هداياهم، وضمن للمسلمين طيب المقام عنده، وقد بقوا في جواره عشر سنوات، حتى أرسل الرسول ﷺ يطلب قدومهم عليه وكان ذلك عند فتح خيبر.. وقد قدم على الرسول -وهو في مكة- وفد مكون من 20 من النصارى -كانوا قد سمعوا به من الحبشة- فاستمعوا له وآمنوا بدعوته، وقد سفهت قريش صنيعهم ذاك، فأعرضوا عنهم، ولم يردوا على كلامهم.

حصار الشعب

قريش لا زالت تقاوم انتشار الإسلام، ولكن اتساع رقعته، وكثرة المنضوين تحت لوائه دفعهم إلى محاولة الضغط مجددًا على بني هاشم وبني المطلب لتسليم محمد، وذلك بفرض الحصار عليهم، بإن لا يباع ولا يبتاع منهم، ولا ينكحوهم، ولا ينكحون منهم، ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم، وعلقوا صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة، فأبى -مسلمهم وكافرهم- إلا نصرته، فدخلوا جميعهم شعب بني هاشم، وطال أمد المقاطعة حتى أكلوا ورق الشجر، وجلود الحيوانات وهلك منهم من هلك، وهم باقون على النصرة..

وسعى المصلحون من أهل مكة إلى نقض الصحيفة، وأبى زعماء قريش غير ذلك، ويأبى الله إلا نصرة نبيه وصحبه، فسلط على صحيفتهم دابة الأرض لتأكلها، ولتنتهي بذلك معاناة المسلمين والتي استمرت ثلاث سنوات.

صفحات من السيرة

مصاب النبي ﷺ بعد الحصار

بعد خروج المسلمين من الشعب أصيب الرسول ﷺ بمصيبتين عظيمتين: 1- فقد عمه أبي طالب والذي كان يحبه ويقربه ويتفانى في حمايته من أذى قريش، وقد حرص ﷺ أشد الحرص على إسلامه قبل موته، ولكن أبى هو إلا الموت على دين آبائه، وقد خفف الله عنه شيئًا من العذاب -لدفاعه عن نبيه ﷺ- بإن جعله في ضحضاح من النار. 2-وفاة خديجة رضي الله عنها والتي كانت تواسيه بنفسها ومالها، وقد قابل ﷺ وفاءها بوفاء: فلم يتزوج عليها في حياتها لئلا يؤلم قلبها، وظل يتفقد صويحباتها بالهدية بعد موتها، ويكثر من ذكرها حتى غارت عائشة لذلك..

وقد خصت رضي الله عنها بخصائص منها: 1-أول من آمنت به. 2-خير نساء الأمة 3-بعث الله سبحانه السلام لها مع جبريل وبشرها ببيت في الجنة من قصب،لا صخب فيه ولا نصب. 4-جميع أولاد الرسول منها إلا إبراهيم..وبعد وفاة خديجة تزوج ﷺ من سودة بنت زمعة، وعقد على عائشة وكانت في السادسة من عمرها، وبنى بها في المدينة وهي ابنة تسع.

ونالت قريش من رسول الله

موت أبي طالب جرأ كفار مكة من النيل من رسول اللهﷺ، فعمد أشقى القوم (عقبة بن المعيط) إلى رسول الله ﷺ -وكان مصليًا في الحجر- فخنقه بثوبه خنقًا شديدًا حتى جاء أبو بكر فخلصه منه..وجاءه في يوم آخر ووضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد -وزعماء قريش حوله يتمايلون من الضحك لصنيعه- وما اقترب منه أحد إلا ابنته فاطمة التي أزالته عنه، فرفع رأسه ودعا عليهم ثلاثًا، وخصّ عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وابن معيط، فاستجيب دعاءه وقتلوا جميعًا في بدر..كما أراد يومًا أبو جهل أن يطأ عنقهﷺ وهو ساجد -وحوله صحبه ينتظرون صنيعه ولكنهم تفاجأوا به يتقهقر مرعوبًا من هولٍ رآه، فقد رأى خندقًا من نارٍ وأهوالًا عظامًا دونه..

كما أنه ضربوهﷺ يومًا حتى غُشي عليه، وضربوه في يوم آخر حتى أدموا وجهه الشريف وجاءه جبريل ليخفف عنه ما أصابه، فأراه آية جعلها الله له: فقد انقادت الشجرة لأمره بالإقدام إليه والإدبار عنه، فأزال ذلك ما به من ألم..وعلى عظم ما فعلوه به إلا أنه كان يقول: (اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون)

خروجٌ من مكة

وأصبحت مكة -لتمسك من فيها بباطلهم- أرضًا يصعب العيش فيها، لذا نرى أفضل رجالها يفكرون بالخروج منها لعلهم يجدون في غيرها ما لم يجدوه فيها:

*جاء الصديق لأحب الخلق إليه -رسول الله- يستأذنه بالهجرة فأذن له، ولكنه لم يبتعد كثيرًا وإذ بابن الدغنة يرده لمكة ويجيره من أذى قريش بشرط ألا يجهر بعبادته لأنه يفتن النساء والأطفال بما يقرأه، فأجابه إلى ذلك، وأقام في بيته مسجدًا يصلي فيه، ولكن تلاوته للقرآن جمعت الناس حوله، فطلب الرجل منه أن يكف أو يرد عليه إجارته فردها عليه ورضي بجوار الله.

*ورسول الله خرج منها لعله يجد أرضًا غيرها وتوجه إلى الطائف، وقصد عبد ياليل وإخوته-لأنهم سادة ثقيف- وعرض عليهم دعوته فأبوها، بل سلطوا عليه سفهاءهم يرمونه بالحجارةحتى أدموا عقبيه، مما اضطره للالتجاء إلى حائط بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة واللذين آلمهما ما أصابه من جراح فأرسلوا بغلامهم (عداس) يحمل له قطفًا من العنب -وكان نصرانيًا- وما إن سمع بما جاء به من الحق إلا وآمن به وبدعوته..

وما أصابه من أذى ثقيف أحزنه فاشتكى إلى ربه ما حل به، فأرسل إليه ملك الجبلين ليأمره بماشاء في قومه، لكنه كان يأمل أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله، لذا لم يطلب منه أن يعاجلهم بالعقوبة، وعاد إلى مكة بعد أن أجاره المطعم بن عدي مخافة أذى قريش له.

الإسراء والمعراج(1)

لا خلاف بين العلماء أنها كانت بعد عودة النبي ﷺ من الطائف،
ولكن لم يتعين يقينًا تاريخ الحادثة، وقد أُسري به ﷺ روحًا وجسدًا،
وقد شق صدره للمرة الثانية قبل أن يُسرى به، وغُسل قلبه وحُشي إيمانًا،
ثم حُمل على البراق -وكان مُسرجا مُلجمًا- ووصل إلى المسجد الأقصى، وقد
صلى فيه ﷺ ركعتين ثم خرج ليأخذ بيده جبريل عليه السلام ويعرج به إلى السماء،
وكان يستفتحها له سماءً سماءً فيُرحَب به من قِبل ملائكة السماء، ومن الأنبياء الذين
كانوا يحتفون بمقدمه.. وكان أول من استقبله في السماء الدنيا آدم عليه السلام قائلًا له:
مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح..
وقد مر في هذه السماء بمشاهد رأى فيها حال: المغتابين والزناة وآكلي الربا وآكلي أموال الناس ظلمًا،
وفي السماء السابعة وجد إبراهيم عليه السلام والذي طلب منه أن يقرئ أمته منه السلام،
وأن ينبئهم عن الجنة بإنها عذبة الماء، وغراسها: سبحان الله، والحمدلله، ولا إله إلا الله والله أكبر..

الإسراء والمعراج (2)

أُدخِل النبي الجنة ورأى فيها النعيم المعد للمؤمنين، كما أُري نهر الكوثر الذي أعطيه إياه ﷺ، والذي حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج، كما سمع صوت بلال في الجنة، وما كان له السبق في ذلك إلا بصلاةٍ كان يصليها بعد كل وضوء..

وانطلق جبريل بالنبي ﷺ فوق السماوات السبع حتى انتهى إلى سدرة المنتهى وهناك رأى جبريل على الصورة التي خُلق عليها: في حلة من رفرف خضر وله ستمائة جناح يسد كل منها الأفق، وعلى عظمة خلقه عليه السلام إلا أنه في هذا المقام كان كالحِلس البالي من خشية الله..

وما إن غشيت السدرة سحابة إلا وتأخر جبريل وعُرج بالنبي ﷺ إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام وهنالك أوحي إليه بفرض خمسين صلاة على أمته، إلا أن رسولنا ظل يراجع ربه طلبًا للتخفيف-بطلبٍ من موسى عليه السلام رحمةً بأمته- حتى أصبحت خمسًا في العدد، وخمسين في الأجر..

الإسراء والمعراج (3)

وبعد انتهاء رحلة المعراج عاد جبريل بالرسول ﷺ إلى المسجد الأقصى ليصلي صلاة الفجر بالأنبياء -والذين هبطوا معه تكريمًا له وتعظيمًا عند رجوعه من الحضرة الإلهية- وبعد انقضاء الصلاة ركب الرسول ﷺ البراق بصحبة جبريل عليه السلام متجهًا إلى مكة ليصلها قبل الفجر، وفي طريقه وجد عيرًا يتقدمها جمل أورق، وكان صحبها نائمون، فشرب ماء لهم في إناء مغطى -جائز في عرف العادة شرب الماء واللبن لابن السبيل- وستكون هذه آية يستدل بها لأهل مكة على صدق مسراه..وفي الصباح حدث ﷺ الناس بسيره ليلا لبيت المقدس -ولم يذكر المعراج تدرجًا بهم- فقابل القرشيون كلامه بالسخرية والاستهزاء، وكانت فتنة عظيمة تساقط فيها ضعفاء الإيمان فارتدوا عن دينهم، أما أبوبكر رضي الله عنه فمجرد أن بلغه أمر رحلته ﷺ السماوية إلا وصدقه دون تردد، فسماه ﷺ لموقفه ذاك (الصديق).

صفحات من السيرة

الإسراء والمعراج (4)

كانت حادثة الإسراء فتنة عظيمة للناس، ارتد بسببها ضعاف الإيمان، وأعظمت قريش حديثه ﷺ، فجاءته طالبة منه أن يصف لها بيت المقدس -وكان هناك من زاره كالمطعم بن عدي- فرفعه الله له ينظر إليه، فما سألوه عن شيء إلا أجاب، عندها أقروا بصحة نعته..ولكن عنادهم منعهم من تصديقه ﷺ فذكر لهم -كعلامة على صدق كلامه- أمر العير التي مر عليها، وصفتها والحال التي عليها، ووصلت العير مكة بالوصف الذي ذكره ﷺ ...ولكن الكبر يملأ نفوسهم فأبوا التصديق..

- وأخذ جبريل عليه السلام يتردد على الرسول ﷺ في أوقات الصلوات ويأمره بالصلاة، فيجمع صحابته ويصلي بهم..

وقد فرضت الصلاة في الإسراء ركعتين ركعتين إلا من المغرب كانت ثلاثًا، وبعد الهجرة زيدت أربعًا، إلا من الفجر والمغرب فبقيت كما كانت..وكانت القبلة إلى بيت المقدس، فكان ﷺ يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، وبعد الهجرة ب16شهرًا جاءه الأمر الإلهي بتحويل القبلة إلى الكعبة..

انشقاق القمر.. ودعوته ﷺ للقبائل

تحدى القرشيون الرسولﷺ أن يأتيهم بآية ليتيقنوا من صدق نبوته، فانشق القمر نصفين حتى رؤي حراء بينهما ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ولكن كبرهم أملى عليهم أن ما يرونه ما هو إلا سحر وأبوا الإقرار بهذه المعجزة..

وعلى الرغم من رفضهم لدعوتهﷺ إلا أنه استمر داعيًا لهم إلى الله، كما كان حريصًا على دعوة القبائل في موسم الحج لعل الله أن يهدي قلوبهم للحق فيأوي بدعوته إليهم، وفي السنة العاشرة التقى بالعديد منها، فمنهم من صده ورد عليه ردًا قبيحًا كقبيلة بني حنيفة، ومنهم من طالب أن يكون لهم الأمر من بعده كقبيلة بني عامر بن صعصعة، ومنهم من استطاب حديثه، ورغب فيما يقول ولكن مخافة عداء العرب لهم إن آووه عندهم رفضوا الإيمان بدينه كقبيلة كندة، ومنهم من استحسن قوله ولكن أبى نصرته لعهد بينهم وبين كسرى ألا يؤووا محدثًا كبني شيبان، ولا زال الرسول ماضيا في عرض نفسه على القبائل والأفراد راجيا أن يهدي الله قلوبهم.

دعوته ﷺ للأفراد

كان رسول الله حريصًا على نشر دينه، لذا كان يتصدى لكل قادم من العرب له اسم وشرف فيدعوه إلى الإسلام عله يكون سببًا في إسلام قومه، وكان ممن التقاهم:

- ضماد بن ثعلبة –وكان راقيًا– فعدما سمع من القرشيين أن بمحمد مس جاءه ليرقيه مما فيه، ولكنه ما إن سمع حديثه إلا وآمن به، وبايعه على الإسلام عنه وعن قومه..
- الطفيل بن عمرو كان رئيس لقبيلة دوس اليمنية، وكان رجلًا شريفًا شاعرًا لبيبًا، قدم مكة فخشي القرشيون إسلامه لذا حذروه من سحر محمد، وظلوا به حتى خافه على نفسه، فملأ أذنيه كرسفًا، حتى لا يسمع حديثه، ولكن شاء الله أن يسمعه ما عرف منه أن هذا ليس بقول بشر، فأسلم، وعاد إلى قومه داعيًا، ولكنهم استعصوا عليه إلا من أبيه وزوجته، فدعا الرسول أن يأتوه مسلمين، وطلب منه أن يدعوهم ويترفق بهم، فجاءه بعد ذاك في خيبر وقد أسلم 70 أو 80 بيتًا منهم..

يوم بعاث... وطلائع النور..

قدم وفد من الأوس يلتمسون حلفًا من قريش على خصمائهم من الخزرج، وكان إياس بن معاذ من بينهم -وكان غلامًا حدثًا- فسعى النبي إلى عرض دعوته عليهم، فارتاحت نفس إياس بما سمعه، إلا أن قومه نهوه عن اتباعه فهم جاءوا طالبين الحلف لا العداء من قريش، ولم يلبث إلا قليلًا وهلك..

وقامت حرب ما بين الأوس والخزرج -سميت بيوم بعاث- مات فيها كثير من زعماء القبيلتين، ، والذين ما كان يتوسم أن يرتضوا بالدين الجديد كبرًا وأنفة أن يكونوا تحت حكم غيرهم.. وكأن هذا كان تمهيدًا لقبول أهل يثرب بالدين الجديد..

وقد انتصر في هذا اليوم الأوس، وبقيت القلوب تحمل العداء لبعضها حتى جاء محمدﷺ ليجمعهم بعد فرقة...وكانت بشائر الخير قد لاحت في السنة 11 للبعثة حين التقى الرسولﷺ برهطٍ من الخزرج، فدعاهم إلى الدين فبادروا للدخول فيه قبل أن تسبقهم إليهود -الذين طالما هددوهم بإنهم سيقاتلونهم مع نبي هذا أوان ظهوره- فقاموا عنه وهم مؤملين أن الله سيجمع أمر قومهم به.

دور مصعب بن عمير في المدينة

كثر الحديث عن رسول الله ﷺ في المدينة -بعد عودة رهط الخزرج إليها- لذا توجه في السنة 12 للبعثة (12 رجلًا) 2 من الأوس، و10 من الخزرج؛ قاصدين الرسول، ليعقدوا معه بيعة العقبة الأولى، وكانت على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء والنصرة، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أهليهم.. ومع انتهاء الموسم بعث معهم ﷺ مصعب بن عمير ليكون قارئًا ومعلمًا ومفقهًا في الدين، وقد نجح في مهمته أيما نجاح، وكان ممن أسلم على يديه سيدا بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأسيد بن خضير، وبإسلامهما أسلم قومهما في يوم واحد، إلا من الأصيرم الذي تأخر إسلامه إلى أحد..... **ومن أسباب تهيؤ الأنصار للإسلام:**

*رقة ولين عرفوا بها، وعدم المغالاة في جحود الحق. *ما عانوه من الحروب الداخلية، وكانوا يبغون جمع الكلمة، وانتظام الشمل.*مجاورتهم لليهود جعلهم يألفون المفاهيم الدينية، والسنن الإلهية، على عكس أهل مكة الذين طال عهدهم بالنبوات وأصبحوا يجهلون معانيها..

بيعة العقبة الثانية

في موسم الحج من السنة 13 للبعثة توجه 73 رجلًا –من بينهم امرأتان– قاصدين مكة مع قومهم يبغون رسول اللهﷺ، وكان معهم مصعب بن عمير الذي عاجل إلى رسول اللهﷺ فور وصوله لينبئه عن أخبار الدعوة في يثرب وسرعة انتشارها بين الأنصار، وقوة ومنعة القبائل هناك، فسر بذلك رسول اللهﷺ، وواعد أن يلتقيهم في أوسط أيام التشريق في العقبة، بعد أن يأخذ الناس مضاجعهم لكي لايشعروا بهم، وقد جاء معه عمه العباس –وكان لا زال على كفره– ليستوثق منهم في قدرتهم على حمايته إن هاجر إليهم..وكان الاجتماع بعيدًا عن أعين الناس، وبايعوا فيه الرسولﷺ على السمع والطاعة، والنفقة في العسر واليسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى النصرة إذا قدم إليهم.. ولهم –إن وفوا– بذلك الجنة..

فبايعوه بعد أن استوثقوا من أنفسهم أنهم أهل لحمايته.. وقد اختار منهم 12 نقيبًا: 9 من الخزرج، و3 من الأوس..

ما بعد البيعة

بعد انتهاء البيعة صرخ الشيطان بأنفذ صوت أن مذمم -يقصد بذلك رسول الله ﷺ- والصبأة معه قداجتمعوا على حربكم، فانطلق زعماء مكة ليستوثقوا مما سمعوا، فجاءوا إلى الخزرج يعنفونهم بإنكم تريدون أن تؤوا إليكم صاحبنا -يقصدون محمدًا-، وتبايعوه على حربنا.. فحلفوا أنه ما كان من هذا شيء -وقد صدقوا- لأنهم لم يعلموا بذاك الأمر، فانصرفوا عنهم، وبعد أن نفر الناس من منى تيقنوا أن ما سمعوا كان صدقًا، فخرجوا يطلبونهم فلم يدركوا إلا سعد بن عبادة والذي ربطوا يديه إلى عنقه وأخذوا في ضربه، ولم يخلصه منهم إلا الجبير بن المطعم -والذي كان قد أسدى له معروفًا فحفظه له- وانطلق سعد لاحقًا بصحبه والذين كانوا يعزمون الكر عليهم لتخليصه منهم..

وعند عودتهم للمدينه فشا أمر الدين الجديد فيها ودعوا أهليهم إليه..

خصائص المدينة المنورة

1-امتازت بتحصن طبيعي حربي، فكانت حرة الوبرة من الغرب، وواقم من الشرق، والناحية الشمالية هي الجهة الوحيدة المكشوفة..
وهي الجهة التي أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق فيها في غزوة الخندق.

2-كانت الجهات الأخرى من أطراف المدينة محاطة بأشجار النخيل والزروع الكثيفة فلا يستطيع الجيش المرور إلا في طرق ضيقة، لا يتفق معها ترتيب الصفوف.

3-كان أهل المدينة -من الأوس والخزرج- أصحاب نخوة وإباء وفروسية وقوة، ألفوا الحرية، ولم يخضعوا لأحد..

وقد جاء وصفهم في العقد الفريد: هم أعز الناس أنفسًا، وأشرفهم همًا، ولم يؤدوا إتاوة إلى أحد الملوك..

فكانت المدينة لخصائصها، وطبائع أهلها أصلح مكان لاحتضان الدين الجديد.

- الحرة: هي أرض ذات صخور سوداء يصعب عليها السير للراكب والماشي.